موقف هتلر من يهود ألمانيا
1933 - 1938

د/ محمد عبد الوهاب سيد أحمد
آداب عين شمس

obeikan.com

obeikan.com

موقف هتلر من يهود ألمانيا

1933 - 1938

اكتسبت قضية العلاقات الألمانية اليهودية في ثلاثينيات القرن العشرين أهمية متنامية لما أحدثته من انعكاسات لا زالت في بعض أوجهها تلعب دورًا فاعلاً على مسرح الأحداث الدولية . لذا فإن تناول تلك العلاقات التي اتسمت بالتعقيد والتداخل يهدف إلى السعي للإجابة عن مجموعة من الأسئلة الرئيسة التي تحيط بتلك العلاقات الألمانية اليهودية . ومن هنا تسعى هذه الدراسة للإجابة عن عدة تساؤلات منها : هل معاداة هتلر لليهود بدأت منذ توليه السلطة في عام 1933 أم أن لها جذورًا مرتبطة بتكوينه الشخصي وآرائه في الفترات السابقة ؟ وهل كانت سياساته تجاه اليهود ردود أفعال لمواقفهم ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية في ألمانيا أم أنها كانت مؤسسة على رغبته وفلسفته في جعل الجنس الآري هو المتحكم في الحياة السياسية ، وإبعاد اليهود عن تلك الساحة التي كانوا يؤثّرون على مقاليدها بشكل أو بآخر ؟ وهل كان لعقيدته الكاثوليكية دور في موقفه وسياسته تجاه اليهود ؟ وهل كان يخطط لكي تقوم سياسته على التدرج في معالجة المسألة اليهودية أم أنها قد ارتبطت بتاريخ ألمانيا في هذا الوقت ؟ وهل التزم هتلر بجعل سياسته تنتقل من التلميح إلى التصريح في التعامل مع اليهود ؟ وهل حاول اليهود أن يلتفوا على سياسات هتلر أم أنه كان مصممًا على التشدد معهم ؟ كل هذه الأسئلة سوف نحاول الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة .

المسألة اليهودية في كتاب كفاحي لأدولف هتلر :

أشار هتلر في كتابه كفاحي [1] إلى أن أول لقاء تم بينه وبين أحد اليهود كان في مرحلة الصبا ، وكان وأصدقاؤه يأخذون جانبًا كبيرًا من الحيطة في التعامل مع ذلك الصبي اليهودي ، الذي لفت نظرَهم قيامُه ببعض التصرفات الغريبة بالنسبة لهم . ويرجح أن تلك التصرفات أو الأفعال كان لها صلة مباشرة بديانة الصبي اليهودية ، إلا أن ذلك الانطباع الأوَّلي عن اليهود سرعان ما تحول إلى رأي مناهض لهم ، خاصة في الحوارات السياسية التي كان يشارك فيها وهو في الخامسة عشرة من عمره، إذ اعتبرهم : "أوربيين من حيث المظهر الخارجي" فقط . ومع انتقال هتلر من مدينة "لينز" Linz إلى فيينا بدأ إحساسه العنصري ضد اليهود في الازدياد المطرد حاملاً معه انطباعًا قويًا بأهمية مواجهة ما أطلق عليه "القضية اليهودية" . على أنه تجدر الإشارة إلى أن هتلر لم يقصد بتلك المواجهة أية عمليات تتصل بالاعتداء البدني على هؤلاء اليهود ، حتى لقد اعتبر اللهجة التي تبنتها بعض الصحف المعادية للسامية تتنافى مع القيم الثقافية الأوربية الأصيلة[2] .

على أن تلك الأفكار الأولية عن اليهود قد طرأ عليها تغيرات مختلفة بمرور الوقت ، إذ حسم الصراع الذي ظل يدور بداخله لمدة عامين بين "العقل والعاطفة" لصالح العقل. وقد جعل هذا التغليب للعقل والمنطق حدة الملاحظة البصرية والعقلية لديه تزداد بشكل عميق أثناء جولاته في شوارع مدينة فيينا ، طارحًا سؤالاً متكررًا على ذاته فحواه : هل اليهودي يعد ألمانيًا حقيقيًا أم لا ؟ ولم يجد هتلر مبتغاه إلا بالعودة إلى الكتب لتجيبه عن هذا التساؤل الهام . وقد أدت تلك القراءات إلى تعميق مفهوم الاختلاف بين اليهود والألمان ، ليس فقط على صعيد الديانة بل تعدى ذلك إلى قضية أكثر عمقًا واتساعًا بل

---

(1) Adolf Hitler, Mein Kampf (Hurst and Blackett Ltd ., London :1939)

اعتمدت الدراسة على النسخة الإنجليزية المترجمة من الألمانية والمنشورة على موقع Solargeneral com. على شبكة الإنترنت .

جدير بالذكر أن الترقيم الوارد في الدراسة هو الوارد في النسخة الرقمية للكتاب (PDF) ، كما اعتمدت على الوثائق الألمانية المترجمة إلى الإنجليزية والمنشورة على موقع :

Yad Vashem – The Holocaust Martyrs" and Heroes' Remebrance Authority

http ://www1 .yadvashem .org .

(2) Adolf Hitler , Mein Kampf , P . 27.

وجدلاً إذا شئنا الدقة وهي الاختلاف العرقي. وهكذا توطدت في عقلية هذا الشاب الألماني وبعجلة متسارعة فكرة التمييز حتى أنه بدأ يلاحظ اختلافات في المظهر الخارجي بين اليهود والألمان ، أضف لذلك بعض التوجهات السياسية التي كان يتبناها اليهود والتي أدت بهتلر في نهاية المطاف إلى ترسيخ هذا المفهوم لديه ، ويقصد بذلك على وجه التحديد (الحركة الصهيونية) التي كان قد بدأ يشتد عودها بشكل واسع في تلك الآونة في كل أوربا ، وكانت تدعو علانية إلى تأكيد الهوية اليهودية القومية . أما إذا ابتعدنا عن تلك الحركة فإن نشاطات اليهود في مناحي الحياة المختلفة قد لفتت نظر هتلر خاصة تلك المجالات المتعلقة بتكوين الرؤية الثقافية لشعوب القارة ، ويقصد بذلك الصحافة والفنون والآداب ، والتي لاحظ هتلر أن اليهود يتحكمون بها بشكل أو بآخر لفرض هيمنتهم على المناخ الثقافي ، حتى أنه شبَّههم بالكائنات الحاملة للجراثيم والتي تهدد النفس البشرية[3] .

أما المنعطف الذي كان يعد خاتمة المطاف فيما يتعلق بحسم الصراع الذي دار داخل هتلر حول المسألة اليهودية فقد تمثل في رصده لبعض الظواهر غير الأخلاقية، والتي اتضح له أن اليهود لهم اليد الطولى في إدارة تلك الأنشطة غير الشرعية مثل الدعارة وتجارة الرقيق الأبيض . وقد جعل هذا المنعطف من هتلر أكثر إصرارًا على المضي قدمًا في الدفع بالمسألة اليهودية لتصبح في أولوية القضايا التي يجب تسليط الضوء عليها ، خاصة وأن قناعته قادته إلى الكشف عن أن اليهود كانوا يتولون العديد من المناصب القيادية في الحزب الاشتراكي الديمقراطي . وهنا ينتقل هتلر إلى الربط ليس فقط بين اليهود وتلك الحركة الناهضة ، بل بين هؤلاء الذين ينتمون إلى "الشعب المختار" والماركسية ، فقد أشار في كتابه إلى أنه أدرك أن معظم القادة الماركسيين ينحدرون من أصول يهودية . وهذا ما دفع بهتلر في ختام هذا الصراع التمهيدي إلى التيقن من أن "اليهودي ليس بألماني". على أن هذا الشاب اليافع لم يكتفِ فقط بالتوصل لتلك القناعة بل بدأ ينهج منهجًا أكثر فاعلية في التعبير عن وجهته الفكرية ، إذ بدأ في نشر أفكاره عن اليهود في الأوساط التي يتردد عليها هادفًا إلى إماطة اللثام عن الوجه الحقيقي للأدوار السياسية والثقافية التي كان

(3) Ibid ., pp .28-29.

يلعبها هؤلاء في المجتمعات الأوربية ، محاولاً ليس فقط التأثير على الألمان بل الدخول في مجادلات واسعة مع اليهود أنفسهم في محاولة لإثنائهم عن تأييدهم للأفكار الماركسية ، إلا أن محاولاته كافة ذهبت سدى ، وأضحى أكثر اقتناعا بأن اليهود يمتلكون استراتيجيات جدلية متقدمة وعميقة تهدف بشكل أساسي إلى تغليف الحقائق بطبقات متعددة من الأكاذيب المقنعة[4] .

كما أدرك أن اليهود يستخدمون اللغة لا كوسيلة للتواصل بل لإخفاء الركائز التي يؤمنون بها ، بحيث لا يكون باستطاعة المتلقي الكشف عن المرمى الذي يهدف إليه الحديث إلا إذا تمتع ببصيرة نافذة تكفل قراءة ما بين سطور تلك الأفكار. ويصف هتلر تلك القناعة التي توصل إليها بأنها أحدثت أعمق "ثورة داخلية" لديه ، والتي ترتب عليها تحوله من شخص يؤمن بالتعددية الهادئة إلى شخص آخر معادٍ للسامية بشكل مطرد. وقد كان وراء هذا الاطراد من جهة أخرى ربطه بين اليهودية والماركسية ، منوهًا في هذا الصدد إلى أن تلك الرؤية اليهودية الماركسية تحمل في طياتها توجهًا غاية في الخطورة وهو إنكار أهمية الفرد ككائن مستقل في المجتمع والتركيز بشكل مطلق على الجوانب القومية أو العرقية . ويرى هتلر في ذلك انتهاكًا جليًّا للأسس الرئيسة للوجود والحضارة الإنسانية . وحذر في هذا السياق من أنه إذا قُدِّر لتلك التعاليم أن تنتشر فإنها قد تقوض أرجاء العالم كافة ، وأنه إذا قدر لليهود إحراز سبق النصر على شعوب الأرض كافة بمساعدة تلك المبادئ الماركسية فإن نهاية الجنس البشري ستكون حتمية . وهكذا وضع هذا الشاب خلفية تبريرية غاية في الرحابة لمعاداة اليهود تتخطى حاجز الحدود القومية لتشمل كل الجنس البشري[5] .

أما الخبرة التالية في حياة هتلر مع المسألة اليهودية فقد تمحورت حول دور اليهود في الحرب العالمية الأولى ، خاصة وأنه شارك في صفوف القوات الألمانية أثناء تلك الحرب ولاحظ أن الإدارات الحكومية اكتظت بالموظفين اليهود مع أن إسهاماتهم في صفوف الجيش كانت شبه معدومة . وما أزعجه أن اليهود في قطاع الأعمال أصبحوا كيانات لا يمكن

(4) Ibid . , p .130
(5) Ibid ., p . 60

الاستغناء عنها على الصعيد الاقتصادي من خلال الشركات التي قاموا بتأسيسها زمن الحرب وتمكنوا من السيطرة على هذا القطاع ، مع أنها في رأيه كائنات طفيلية تعتمد في حياتها على دماء ضحيتها التي هي الأمة الألمانية ذاتها . هكذا وكما أشار هتلر صراحة في كتابه إلى أنه في غضون عامي 1916 و1917 على وجه التحديد فإن معظم الإنتاج الصناعي كان تحت سيطرة النفوذ المالي لليهود[6] .

وهناك قضية أخرى لا تقل في الأهمية نَوَّه إليها هتلر على صعيد تشكيل رؤيته للقضية اليهودية ، وهي الأسلوب الذي كان يتبعه اليهود في التعامل مع الأقاليم الألمانية المختلفة، إذ شهد المجتمع الألماني حينذاك حالة من التهييج الإعلامي ضد منطقة بروسيا المناصرة لإقليم بافاريا . وقد رأى هتلر أن تلك الحملة الإعلامية هي إحدى الاستراتيجيات اليهودية المنظمة والمتقدمة لتشتيت الأنظار عن "المسألة اليهودية" ، وحسبما ذهب هتلر فإن الطرفين البروسي والبافاري كانا على غير دراية أنهم بصراعهم فيما بينهم يتيحون الفرصة لليهود لاستنزاف قدراتهم الاقتصادية . وقد امتدت تلك الاستراتيجية اليهودية لتشمل الشعب الألماني ككل في الحرب العالمية الأولى ، إذ قاموا بمؤامرة لإصابة الألمان بضربة قاصمة لم تأتِ من خطوط القتال ، بل أتت - حسبما ذهب في كتاب كفاحي - من الداخل ليجعلوا تحقيق النصر شبه مستحيل . وقد حدث ذلك عندما تم تنظيم إضراب عام في مصانع الذخيرة[7].

برنامج الحزب النازي واليهود :

في الرابع والعشرين من فبراير عام 1920 أصدر حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني (الحزب النازي) برنامجه السياسي ، الذي ألقى الضوء على العديد من القضايا من بينها الوجود اليهودي في المجتمع الألماني[8] . وقد أشار البرنامج إلى أن اليهود لا يمكن أن يتم تصنيفهم كمواطنين حيث إنهم لا ينتمون لأصول ألمانية ، وبالتبعية فإن عدم الاعتداد

(6) Ibid ., p . 118

(7)Ibid ., p . 120

(8)Das Programm der NSDAP ("The Program of the National-Socialist German Workers' Party"), Berlin [1933]

بوضعية اليهود كمواطنين ينقلهم حسبما أشار البرنامج إلى فئة الأجانب الذين يخضعون لقوانين خاصة تنظم وجودهم وأنشطتهم . وفي خطوة منطقية حصر البرنامج أحقية اختيار وتولي المناصب القيادية وتشريع القوانين على المستويات السياسية المختلفة للمواطنين "الألمان" فقط . بالإضافة لذلك طالب واضعو البرنامج بوضع المواطنين الألمان في قمة الأولويات فيما يتعلق بتوفير فرص العمل ، وإذا وجدت الدولة أن الأجانب يمثلون تهديدًا في اتجاه تقليص فرص العمل المتاحة ، فإنه على الحكومة أن تقوم بطردهم من البلاد . على صعيد آخر فإن البرنامج رأى أن الأشخاص الذين قاموا بالتَّرَبُّح من خلال استغلال الأنشطة التجارية المتصلة بشكل مباشر أو غير مباشر بالجيش الألماني ومجريات الحرب العالمية الأولى ، يجب أن يوضعوا تحت طائلة القانون ، إذ يعدون مجرمين في حق بلادهم . كما لجأ قادة الحزب إلى التأكيد على أهمية التحول إلى تأميم كافة المنشآت الاقتصادية .

الجدير بالذكر أن البرنامج ذهب إلى المطالبة بوضع قيود على الصحافة الصادرة في البلاد من خلال المطالبة بأن يكون كافة المحررين في تلك الصحف منحدرين من أصول ألمانية . أما الصحف "غير الألمانية" فيجب أن تحصل على تصريح بممارسة هذا النشاط الإعلامي وألا تصدر بلغة غير اللغة الألمانية . وفي إشارة واضحة للدور اليهودي في هذا المضمار ، طالب البرنامج بحظر تمويل أو ممارسة النفوذ على الصحف من غير الألمان ، وأن أي انتهاك لذلك من شأنه أن يعرِّض صاحبه للطرد من البلاد .

إن تحليل البرنامج يشير إلى أنه عمد في بنوده الأولى إلى إعادة تعريف المواطنة الألمانية، وذلك لوضع نقطة انطلاق تأسيسية يستطيع من خلالها استبعاد العناصر غير الألمانية من دائرة صناعة القرار بل وحتى التأثير عليه . ويتضح ذلك بجلاء في تأكيد واضعي البرنامج على منع كافة العناصر غير الألمانية من تقلد أية وظائف قيادية من شأنها أن تؤثر على تشكيل الاستراتيجيات التي تتبعها البلاد على كافة الأصعدة الداخلية والخارجية . وانتقالاً من العام إلى الخاص سَلَّط البرنامج الضوء على بعض المحاور التطبيقية التي رأى الحزب أنها في مسيس الاحتياج لثورة تصحيحية لمساراتها المتباينة ، فعلى الصعيد الاقتصادي اتخذ الحزب موقفًا مناهضًا للعمالة اليهودية التي أضحت تنافس نظيرتها

الألمانية الأصل ، بل ذهب إلى ضرورة استبعاد هؤلاء من المجتمع الألماني في ظل تلك المنافسة المهنية . أما فيما يتعلق بصناعة الرأي العام فقد ركز البرنامج على قضية اتضح فحواها خلال الحرب العالمية الأولى ، وهي سطوة الصحافة على الرأي العام ، خاصة في ظل سيطرة وسطوة النفوذ اليهودي المباشر وغير المباشر على دوائر الصحافة في العالم . ويتضح من قراءة البرنامج أن التجربة الألمانية في هذا المضمار خلال الحرب تركت وراءها سلبيات عميقة دفعت بعض الألمان إلى السعي قدمًا إلى استئصال شأفة تلك السطوة اليهودية في هذا المجال عميق التأثير ونافذ المفعول في تشكيل توجهات الرأي العام ، وبالتالي المساهمة في صناعة القرار وتشكيل المناخ العام الداخلي خاصة في أوقات الأزمات. وبشكل عام فإن هذا البرنامج يعد استراتيجية تمهيدية مبكرة لتصفية الوجود اليهودي في المجتمع الألماني واستبعاده قسرًا من كافة الممارسات التي من شأنها أن تؤثر سياسيًا واقتصاديًا وإعلاميًا على بَلْوَرة التوجهات الألمانية خارجية كانت أم داخلية .

وفي مقال نشر له في نفس السنة[9] ، أشار هتلر إلى أن البنية التحتية الداخلية للبلاد أضحت ساميَّة الطابع في ظل سيطرة يهودية متغلغلة في مقابل انحسار للطابع الألماني ، حتى أنه أحال جذور كافة الصراعات والمشكلات التي كانت تواجهها البلاد حينذاك إلى الجنس اليهودي ، الذي أضحى - من وجهة نظر هتلر - مرادفًا للبلاشفة الذين وصلوا إلى سدة الحكم في روسيا . وجدير بالذكر أن تلك المقارنة بين اليهود والبلاشفة لم تأتِ من قبيل المصادفة بل إن هتلر رأى في التوجهين امتهانًا للإرادة الشعبية الوطنية الأصيلة ، مع سيطرة متقنة على كافة منافذ صناعة القرار في البلدين ، من جهة أخرى فإن هتلر رأى في العنصر اليهودي رغبة متنامية في الهيمنة على مقاليد السياسة والاقتصاد في ألمانيا مما غذى في داخله تلك المخاوف المتعلقة بوجود خطة يهودية محكمة لتغليب الجنس اليهودي على نظيره الألماني وسعيه لتولي مقاليد السلطة مثلما فعل البلاشفة في روسيا . من جهة أخرى فإن هتلر في هذا المقال حشد كافة الجهود في سبيل تأسيس "منظمة" من شأنها توحيد جهود الألمان سعيًا إلى "الخلاص" ، وهو تعبير يجمع بين السياسة والدين في معادلة غير

(9) H .A . Jacobsen and W . Jochmann, eds ., Ausgewaehlte Dokumente zur Geschichte des nationalsozialismus ("Selected Documents in the History of National-Socialism"), 1933-1945, I . Bielfeld, 1961 .

تقليدية ، إذ إن مفهوم المنظمة يهدف إلى حشد الطاقات في سبيل تحقيق هدف محدد وهو في هذا المضمار "الخلاص" وهو تعبير يعود إلى العهد القديم وتحديدًا إلى قصة خروج شعب بني إسرائيل من أرض مصر وتخلصهم من نير العبودية [10] ، ويرجح أن هتلر أراد أن يربط بين وجود عمل جماعي ألماني وبين التخلص من نير العبودية السياسية والاقتصادية والإعلامية اليهودية . من هنا فإن هتلر أراد أن يستخدم الخطاب الديني لتحقيق هدف يسعى من خلاله إلى تقليص سلطات ونفوذ اليهود على كافة الأصعدة ، وبالتالي يمكنه أن يتجنب إثارة المشاعر في الشارع الألماني ، كما سعى إلى القيام بذلك مرتديًا مسوح الرهبان بما يتماشى مع العقلية الدينية الألمانية .

الحزب النازي في السلطة والانتقال من النظرية للتطبيق بالنسبة لليهود :

مع إشارة نتائج الانتخابات إلى فوز النازيين واتجاههم إلى تولي مقاليد الحكم في البلاد، أصدر الحزب القومي الاشتراكي في الثامن والعشرين من شهر مارس من عام 1933 عدة قرارات لبدء شن حملة مقاطعة شاملة ضد اليهود بدأت بتشكيل لجان عمل فرعية لتطبيق خطة منظمة لمقاطعة المحالّ والبضائع والأطباء والمحامين اليهود ، وقد أثارت إجراءات المقاطعة انتباه السفير الأمريكي في برلين الذي أبرق إلى وزير خارجيته لإبراز ملامح التغير على المجتمع الألماني خاصة بعد تولي الحزب النازي[11] ويلاحظ أن الحزب من جهة أخرى نبه إلى عدم التعرض للأجانب حيث إن هذا الإجراء وقائي الطابع يستهدف اليهود الألمان فقط دون غيرهم . أما المنهجية المقترحة لوضع هذا القرار موضع التنفيذ فقد ركزت على استخدام كافة الوسائل الدعائية والإعلامية لنشر تلك المقاطعة على أكبر نطاق ، مسلطين الضوء على عدم التعامل مع العناصر اليهودية اقتصاديًا في كافة أنحاء ألمانيا . ولتوطيد سيطرة الحزب على المقاطعة تم تفويض اللجان التنفيذية في مراقبة الصحف للوقوف على مدى تعاونها في الحملة الإعلامية ضد اليهود ، وإذا ما ثبت عدم التعاون الجادّ لإحدى الصحف فإن مصيرها سيكون التجاهل الوطني والرفض

---

(10) العهد القديم ، سفر الخروج ،الإصحاح حتى الإصحاح .

(11) US FR- 1933 VOL 11 P 210 from The Ambassador in Germany (Sockett) to Sec . of State March 10 , 1933 .

الشعبي من كافة القطاعات الألمانية . أما المبرر الذي ورد فيما يتعلق بشن تلك الحملة فقد أشار الحزب إلى أن هذا الإجراء يهدف إلى حماية الأيدي العاملة الألمانية من مواجهة انتشار العناصر اليهودية في الكثير من الأنشطة الاقتصادية ، ومواجهة الدعاية السلبية ضد ألمانيا التي تقوم بها العناصر اليهودية . لذا قرر الحزب أن تكون الحملة شاملة غير تدريجية تبدأ في الأول من إبريل ، ويتم الاستعانة بقوات العاصفة SA وعناصر القمصان السوداء SS لاتخاذ مواقعها خارج المحالّ اليهودية لتحذير العامة من دخول تلك المتاجر . على أن قرارات الحزب لم ترفع مستوى التعامل مع العناصر اليهودية إلى درجة الاستبعاد ، إذ أشار بيان الحزب إلى أنه يجب عقد لقاءات شعبية في كافة أنحاء البلاد للتوصل إلى نسبة محددة من اليهود يتم السماح لها بالانخراط اقتصاديًّا في المجتمع الألماني بما يتناسب مع نسبتهم إلى عدد سكان الدولة [12]. ولذا فإن الحزب لم يسعَ إلى إعلان عدائه بصورة واضحة ضد اليهود مكتفيًا بالخطوات التي تحقق أهدافه ، ولكنه سعى بهذه الإجراءات إلى كسب القاعدة الشعبية الألمانية إلى صفه والتي تأثرت بلا شك بما حققه اليهود من مكاسب اقتصادية ومكانة اجتماعية في الفترة السابقة على حساب الشعب الألماني[13] .

ولكن رغم تظاهر الحزب بالتدرج في التعامل مع المسألة إلا أن حملته قد نجحت في تحقيق أهدافها حيث تم تعبئة الرأي العام الألماني ضد اليهود بصورة واضحة وأخذ في تنفيذ خطة المقاطعة بصورة فجة مما دفع بالقائم بالأعمال الأمريكي في برلين إلى تنبيه هتلر إلى خطورة الموقف من جراء هذه الإجراءات وكان أحسن تعبير له "أن الموقف قد خرج عن سيطرة الحزب النازي" [14].

أما فيما يتعلق بمدى نجاح تلك الحملة فقد وجد مسئول الدعاية النازية جوزيف جوبيلز أثناء تجواله في شوارع برلين لتفقد الحملة أن كافة الأنشطة اليهودية قد أغلقت ، وأن قوات العاصفة كانت على أهبة الاستعداد . كما لاحظ جوبيلز أن الجماهير الألمانية أبدت تعضيدًا واضحًا لحملة المقاطعة التي شملت الصحافة بهدوء ونظام ملحوظين وأنها

(12) Voelkischer Beobachter (Sueddeutsche Ausgabe), No . 88, March 29, 1933 .

(13) Martin Needler : Hitlers anti Semitism The Public Opinion Quarterly – vol 24 No 4 winter 1960 p 668

(14) U .S .F .R . Opcit, The charge in German to Sec . of State, April 9,1933

كانت نصرًا واسعًا "للألمان" ، ويرجح أنها كانت دفعة قوية للأمام للحزب النازي في مستهل توليه الحكم في البلاد . أما من حيث النتائج الخارجية التي ترتبت على هذا الإجراء فيشير جوبيلز إلى أن العالم بدأ يستفيق من غفوته ليرى في ألمانيا دولة قادرة على إدارة شئون شعبها دون الاعتماد على عناصر غير ألمانية لتوضيح مجريات الأحداث التي تجري داخل الحدود الألمانية [15]. ويلاحظ في هذا المضمار أن تلك الحملة تضمنت العديد من الأهداف متعددة المستويات ، فعلى الصعيد الداخلي هدفت الحملة إلى تنبيه اليهود بشكل مبكر إلى سطوة ونفوذ بل وهيمنة النازيين على الرأي العام الألماني ، وبالتالي تحذيرهم من مغبة الاستمرار في البلاد حتى وإن لم تدعُ الحملة إلى طردهم من البلاد . كذلك كانت تلك الإجراءات بمثابة بالونة اختبار من قبل النازيين لمدى تكاتف واحتشاد الرأي العام حول استراتيجيتهم الجديدة . من جهة أخرى وعلى الصعيد الخارجي كانت حملة المقاطعة رسالة إلى كافة القوى الكبرى في العالم حينذاك فحواها أن هناك نظام حكم جديد في ألمانيا يلقى نجاحًا شعبيًا لم تشهده البلاد منذ الحرب العالمية الأولى ومؤكدًا أن ألمانيا استعادت ما كانت عليه من قبل .

لم تمر بضعة أيام على الاختبار النازي الذي عُرف بالمقاطعة اليهودية حتى أصدر هتلر في السابع من إبريل قانونًا لتنظيم العمل الحكومي ، وأكثر ما يلفت الانتباه في ذلك القانون هو الإقرار بشكل مباشر بأن أي موظف حكومي لا ينحدر من أصول آرية سيحال إلى التقاعد ، دون الإشارة تحديدًا إلى اليهود الألمان [16]. ولكي يضع هتلر الأمور في نصابها فقد أصدر مذكرة تنفيذية بشأن هذا القانون أشار فيها إلى أن الشخص لا يعد آريًا إذا لم يكن من أصل ينتمي لهذا العرق ، "خاصة إذا كان أبواه أو جداه يهودًا" . وأضاف أن ذلك يسري كذلك إذا كان أحد الأبوين أو الجدين من أصل غير آري ، ثم أقر

(15) J . Goebbels, Vom Kaiserhof zur Reichskanzlei ("From the Emperors Court to the Reich Chancellery"), Munich, 1937, pp . 291-292 .

(16) Law for the Restoration of the Professional Civil Service, April 7, 1933 . Reichsgesetzblatt, I, 1933, p . 175 ..also, see Langer . w ., An Enculopedia of World History, Cambridge, U S A 1948, P 1001.

بوضوح أن ذلك ينطبق بشكل مباشر إذا كان أحد هؤلاء ينتمي إلى الديانة اليهودية[17] . الجدير بالذكر أن تلك الخطوة كانت تعد الأولى من الناحية الرسمية في اتجاه الاستبعاد الاجتماعي للعناصر اليهودية من المجتمع الألماني، وبعبارة أخرى فإن النازيين قرروا منذ مطلع توليهم السلطة انتهاج سياسة منتظمة ضد اليهود ، وقد اتسم طابعها رغمًا عن تدريجيته بتسارعه في ذات الوقت . والمقصود بذلك هو أن هتلر وحاشيته القيادية كان لديهم تخطيط يتسم بالوضوح فيما يجب أن يتبعوه بشأن العناصر اليهودية . كذلك فإن تحليل تلك الخطوة يشير إلى أن أهميتها كانت تكمن في اختبار ردود الأفعال الشعبية تجاه ذلك القرار السيادي ، فرغم وضوح وبساطة القانون ، إلا أن تبعاته كانت عديدة ومتباينة، لذا فإنه كان من المتوقع أن يثير مثل هذا القانون العديد من التساؤلات على أصعدة عديدة ، حتى في دوائر الألمان . وواضح أن الحزم الذي أبدته الحكومة النازية حينذاك تجاه التطبيق الحازم للقانون كان له مردود مباشر على تضييق الخناق على اليهود من جهة، وإظهار النازيين في مظهر المهيمنين على مقاليد الأمور في أعين الألمان[18]. وهذا مما يرفع من مكانتهم داخليًا ويدعم خططهم للاستيلاء على كافة أجهزة السلطة وهذا ما قد وضح منذ بداية وصول الحزب إلى الحكم[19] .

أما فيما يتعلق برد فعل اليهود تجاه تلك الإجراءات الاستبعادية ، فقد أشار روبرت ويلتش وهو يهودي في مقال نُشر في الرابع من إبريل من عام 1933 إلى أنه على اليهود أن يظهروا تمسكهم بانتمائهم اليهودي . وأضاف أن اليهود يعيشون "عصرًا جديدًا" ، وأن "الثورة القومية" للشعب الألماني أضحت واضحة الملامح بشكل لا تخطئه العين ، بما

(17) First Regulation for the Implementation of the Law for the Rstoration of the Professional Civil Service . Reichsgesetzblatt, I, 1933, p . 195 .

(18) Exchange of Letters between Hindenburg and Hitler Concerning the Status of Jews who Served in the German Army . Berlin ,April 4 , 1933 . Yad Vashem Archives ,JM/2462 .

(19) Donald L . N iewk : Nazi Giermany and Jews , The Amirican Historical Review . VOL 103 No 3 June 1998 P 918 كذا نرمين سعد الدين "صعود النازية"، دمشق 2008 ص 60-70.

لا يدع مجالاً للشك في أن العصر السابق قد ولى بلا رجعة. وقد نوه روبرت إلى أن تلك المستجدات قد تكون أليمة للكثير من اليهود ، إلا أن البقاء سيكون للأكثر إدراكًا لواقع تلك المستجدات الجارفة على كافة الأصعدة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. حتى إنه ذهب إلى حد استنفار همم العناصر اليهودية حين أشار إلى أن تلك الإجراءات يمكن أن تكون بمثابة الصحوة والميلاد الجديد لليهود الألمان ، مضيفًا إلى ذلك توصية بطبع وتوزيع آلاف النسخ من كتاب تيودور هيرتزل "الدولة اليهودية" على اليهود وغير اليهود . وقد أراد روبرت من ذلك استخدام ذلك المؤلف كوسيلة دفاعية في وجه الصحف التي يسيطر عليها الحزب النازي ، والتي كانت تصف اليهود "بأعداء الوطن" . على أنه أدان بعض العناصر اليهودية المتسلقة التي سعت إلى التغيير الظاهري لديانتها سعيًا وراء تحقيق مصالح اقتصادية . وجدير بالذكر أن كاتب المقال أنهى كلماته بالإشارة إلى أن تلك الشارة الصفراء ذات الخلفية سوداء اللون ، والتي وضعتها السلطات الألمانية على المتاجر اليهودية ، لدفع الألمان إلى مقاطعتها ، يجب أن تتحول إلى شارات فخر واعتزاز ، لا شارات امتهان وخنوع[20] .

وفي نفس الاتجاه ، وعلى صعيد أكثر اتساعًا وتنظيمًا ، تم تشكيل اللجنة المركزية لليهود الألمان للإغاثة وإعادة التعمير ، وقد أشار البيان التأسيسي لها إلى أن المجتمع اليهودي الألماني عليه مسئوليات متعددة تجاه المنتمين إليه ، خاصة في ظل الظروف والملابسات التي أضحت تحيط بهم . ويؤكد البيان أنه على الرغم من أن توفير الاحتياجات الأساسية لليهود يعد أحد الاهتمامات الرئيسية للجنة ، إلا أن كافة المساعي الرامية إلى سد تلك الاحتياجات لن تكون فاعلة ، إذ إن مهمة اللجنة تتركز على وضع أسس جديدة لتكييف اليهود مع المجتمع الألماني في ظل تلك الأوضاع المستحدثة . ومن بين تلك الركائز التي طالب بها البيان التكاتف والإرادة الموحدة لليهود الألمان والبعد عن السعي لتحقيق المصالح الشخصية ، والاستعداد لتقديم التضحيات في سبيل استمرارية المجتمع اليهودي ، لذا يجب التغاضي عن كافة التوجهات التي من شأنها شق صف ذلك

(20) "Wear It With Pride, The Yellow Badge," Article by Robert Weltsch . Juedische Rundschau, No .27, April 4, 1933 .

المجتمع . وهكذا قررت المنظمات والمؤسسات الاجتماعية اليهودية الرئيسية أن تتخذ خطوات حثيثة سعيًا لتوحيد الصف والجهود ، وذلك بتأسيس اللجنة المركزية لليهود الألمان للإغاثة وإعادة التعمير ، التي وافقت المنظمات اليهودية بمشاربها المتعددة على وضع كافة إمكانياتها المالية تحت تصرف اللجنة المركزية . وانطلاقًا من تلك الخلفية ، حثت اللجنة اليهود على عدم الرحيل عن ألمانيا ، أو التخلي عن إخوانهم ، إذ إنه لا يمكن أن يتم حل مشاكل اليهود الألمان من خلال الهجرة العشوائية إلى الخارج ، التي من شأنها أن تؤدي إلى زيادة عمق المشكلات التي تواجه المجتمع اليهودي في ألمانيا [21]. مما سيؤدي إلى الخلل في التركيبة السكانية اليهودية وسوف يدفع بهم إلى الانزواء أو العيش في جيتو مفروض عليهم وليس بإرادتهم .

أما ألفريد فيينار ، وهو أحد قيادات الاتحاد المركزي للمواطنين الألمان من اليهود فقد أكد "أن الأغلبية العظمى من اليهود الألمان لا زالوا يحافظون على انتمائهم الراسخ للدولة الألمانية" ، وذلك على الرغم من أن بعض العناصر اليهودية بدأت تجرفها رياح الخوف جراء الأحداث التي مرت بها . ونوه إلى أنه رغمًا عن أن القانون يعتبر المنحدرين من أصول آرية ألمانًا ، وبذلك فإن اليهود لا يعدون مواطنين ألمانًا ، إلا أن أغلبية اليهود يرون أنفسهم مواطنين يتمتعون بكافة الحقوق . مضيفًا أنهم يرفضون أن يكونوا جماعة أو أقلية عرقية ، مثل الألمان في بولندا ، أو البولنديين في ألمانيا ، وذلك انطلاقًا من سعيهم وراء المواطنة الكاملة تحت مظلة الحكومة الجديدة ، لا أي كيان سياسي آخر مثل عصبة الأمم ، وذلك في إشارة إلى الالتماس الذي تم تقديمه إلى العصبة بشأن حقوق الأقلية اليهودية في سيليزيا العليا. ورغم اعتراف فيينار بصعوبة الموقف الذي يواجهه اليهود الألمان ، إلا أنه شدد على أهمية التحلي بالشجاعة وممارسة كافة السبل التي من شأنها إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه من أجل تخطي هذه العقبة [22].

---

(21) C .V .-Zeitung, No . 17, April 27, 1933 . يشير اختصار C .V . إلى Centralverein deutscher Staatsbürger judischen Glaubens أو الاتحاد المركزي للمواطنين الألمان المنتمين للعقيدة اليهودية .

(22) C .V .-Zeitung,No .22, June 1,1933 .

أما أول خطوة تفريغية لليهود الألمان ، فقد جاءت بشكل غير مباشر حينما أصدرت وزارة الاقتصاد بعض الإجراءات التنظيمية في أغسطس من عام 1933 لتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين ، وذلك عن طريق تقديم قروض مالية تكفل للراغبين توفير النفقات الأساسية للهجرة من ألمانيا إلى فلسطين [23] . وعلى الرغم من أن تلك الإجراءات جاءت بناءً على سعي من قبل بعض المنظمات اليهودية داخل ألمانيا [24] ، إلا أن القضية لم تقف عند مجرد الفعل ورد الفعل ، بل تجاوزت ذلك إلى التخطيط والتنظيم المدروس من قبل النازيين لتحركات المجتمع اليهودي، إذ إن بداية حملة المقاطعة التي جاءت في أعقاب صعودهم إلى سدة الحكم تواكبت مع العديد من التغيرات الواضحة والخفية ، المباشرة وغير المباشرة ، والمتعددة الأصعدة في ذلك الوقت ، وبذلك تكفلت تلك المستجدات بتوفير أرضية انطلاق قوية لهؤلاء اليهود للتفكير مليًّا بشأن الارتحال عن ألمانيا إلى مكان آخر . ومن ناحية أخرى فقد توازى ذلك مع حملة الهجرة اليهودية المنظمة لفلسطين في ثلاثينيات القرن العشرين ، وتلك كانت فرصة مواتية للسلطات الألمانية ، إذ لن تعاني في الدفع بهم للعودة إلى "أرض الميعاد" . هكذا فإنه كان على النازيين إزالة كافة العقبات التي كان من شأنها أن تكون عائقًا أمام الرغبة الذاتية لليهود في الانتقال إلى فلسطين . لذا فإن تلك الإجراءات التنظيمية ، حتى وإن جاءت بناء على رغبة من بعض الدوائر اليهودية ، كانت تعد إحدى الاستراتيجيات المبكرة للحكومة النازية لاستبعاد تلك العناصر اليهودية ، والتي اتسمت بشكل ما من الاتفاق الثنائي على انتهاج مثل تلك الاستراتيجية . لذا فإن سعي تلك العناصر اليهودية لإقرار هذه الإجراءات الحكومية يعد نصرًا مبكرًا للنازيين ، ويرجح أنه كان أحد المحفزات على اتخاذ مزيد من الخطوات تجاه هؤلاء .

على أن تلك الخطوة قابلتها خطوات عكسية من قبل بعض اليهود في سبيل عدم التخلي عن هويتهم الألمانية أو الارتحال عن بلادهم ، وبالتالي بدأوا يستجيبون لضغوط

---

(23) Haolam , No .28,June 22,1933 .

(24) L .Pinner, "Vermoegenstransfer nach Palestina 1933-1939" ("Transfer of Capitol to Palestine 1933-1939"), In zwei Welten Siegfried Moses zum fuenfundsiebzigsten Geburstag ("In Two Worlds for Siegfried Moses on His 75th Birthday"), Tel Aviv, 1962,pp .138-139 .

الحزب النازي ، مدركين أن الخروج طواعية في هذه المرحلة المبكرة أجدى لهم ، إذ أصدرت اللجنة المركزية لليهود الألمان للإغاثة وإعادة التعمير بعض التعليمات للمدارس الابتدائية اليهودية تركزت على تأصيل مفاهيم ازدواج الهوية الثقافية لدى الأطفال اليهود منذ نعومة أظفارهم من خلال تسليط الضوء على الرافدين الثقافيين الألماني واليهودي من حيث الأهمية والتأثير ودورهما في تشكيل شخصية اليهود في المجتمع الألماني[25] . وعلى صعيد يتوازى مع سابقه ، تم تأسيس الاتحاد الثقافي لليهود الألمان الذي كان بمثابة المركز الثقافي الأساسي لليهود الألمان حينذاك ، حيث دعا كافة اليهود لممارسة الأنشطة الثقافية المختلفة مثل تنظيم المحاضرات ، والعروض المسرحية ، والنحت وغيرها ، ولم تقتصر تلك الدعوة على تقديم مثل تلك الأنشطة ، بل لحضور فاعليتها أيضًا . ومن هذا المنطلق ناشد الاتحاد كافة المنظمات اليهودية الانخراط في الأنشطة المختلفة ، مع التركيز على أن كافة تلك الفاعليات من شأنها أن تسلط مزيدًا من الضوء على الموروث الحضاري اليهودي[26] . والجدير بالذكر أن السلطات الألمانية قد سمحت بتأسيس مثل هذا الاتحاد أملاً في أن تلعب المركزية الثقافية اليهودية دورًا إيجابيًّا في تسهيل عملية مراقبتهم ، ووضعهم تحت دائرة الفحص المكثف والمستمر وبالتالي يمكن السيطرة عليهم بسهولة ويسر في حالة الضرورة[27] .

ومن الواضح أن تلك التعليمات التي صدرت في مستهل عام 1934 من جهة ، وتأسيس الاتحاد الثقافي لليهود الألمان من جهة أخرى ، كان يعني مزيدًا من التشبث بالهوية الألمانية ، وعدم التفريط في الموروث الثقافي الألماني ، وتوثيق الصلة بجذور حضارة اليهود . ويكتسب التوجه الأول أهمية واضحة في ضوء تركيزه على أطفال المدارس الابتدائية ، إذ إن أحد أهدافه كانت تجهيز هؤلاء الأطفال للانخراط في مجتمع اختلفت ملابساته بشكل يزداد حدة بمرور الوقت . أما تأسيس الاتحاد الثقافي ، فقد جاء

(25) Arbeitsbericht des Zentralausschusses der deutschen Juden fuer Hilfe und Aufbau 1. Januar 30 . Juni 1934, Anlage (Report of the Central Committee of German Jews for Relief and Reconstruction, January 1 June 30, 1934, Enclosure), 1934 .

(26) Frankfurter Israelitisches Gemeindeblatt, April 1934 .

(27) Hinkel Files, Wiener Library, Tel Aviv University .

في ذات العام ليرسل إلى السلطات الألمانية رسالة مفادها أن هناك قطاعًا كبيرًا من اليهود الألمان لديهم الرغبة في التواصل الثقافي ، حتى في ظل تلك المتغيرات الطاردة . ويلاحظ كذلك أن اليهود لم يلجأوا لتأسيس مثل هذا الاتحاد في ظل غيبة تدخل السلطات الألمانية، بل لقد أعطتهم الضوء الأخضر للمضي قدمًا في ذلك الاتجاه . ومن جهة أخرى فإنه من الواضح أن هذين التوجهين اليهوديين كانا يتضادان مع المنحى السابق الذي ذهب إلى الارتحال عن ألمانيا إلى فلسطين . ويرجح في هذا المضمار أنه رغمًا عن أن حالة التماسك اليهودي بدت وكأنها تحاول المقاومة في ظل المستجدات التي طرأت على العلاقات الألمانية اليهودية ، إلا أنها كانت في ذات الوقت تشهد انسحابًا من قبل بعض عناصرها ، وإتيانهم بحلول مختلفة للمشكلات القائمة ، خارج مظلة العمل اليهودي الجماعي .

وبعد أن استتبت الأوضاع بالنسبة للحزب النازي في الداخل بدأ يعيد تشكيل سياسته تجاه القوى المناوئة بصورة أكثر تحديدًا ، فقد بدأت مرحلة التحول من الإحجام إلى الإعلان بشكل واضح وكان أقرب مثال على هذا ***ما اتخذه من سياسات تصعيدية في عام 1935 ، إذ صدر قانون إعادة تنظيم الجيش الألماني Wehrmacht*** ، في السادس عشر من مارس ، وأشار بوضوح إلى أن هذا الجيش الجديد سيتم تأسيسه طبقًا لقاعدة التجنيد العام ، مستبعدًا في ذلك العناصر غير الألمانية ، والمعنيّ بهم اليهود بشكل أساسي . وقد دفع ذلك بممثلي اليهود الألمان إلى إرسال رسالة إلى وزير الحربية ينوهون فيها إلى أن اليهود مواطنون ألمان ، ولديهم الرغبة في الانخراط في صفوف الجيش الألماني ، مذكرين إياه بأنه في غضون الحرب العالمية الأولى لقي اثنا عشر ألف يهودي حتفهم دفاعًا عن بلادهم[28] . الجدير بالذكر أن هذا التصعيد لم يكن على الصعيد الحكومي فقط ، إذ بدأت تزداد وتيرة الأعمال العدائية ضد العناصر اليهودية في المجتمع الألماني ، حتى أنه في اجتماع للقيادات الحكومية في أغسطس من ذات العام أبدى د . شاخت ، رئيس البنك المركزي (بنك الرايخ) ، قلقه من التبعات الاقتصادية السلبية التي من الممكن أن تلحق بالبلاد

(28) Reichsvertretung der deutschen Juden (National Representation of German Jews), To His Excellency,The Reich Minister of War, Generaloberst von Blomberg, March 23, 1935 . The Central Archives for the History of the Jewish People, A/171.

جراء تلك الأعمال التي وصفها "بالراديكالية" ، وقد أشار تحديدًا في هذا الصدد إلى بعض المنظمات التابعة للحزب النازي مثل الجبهة العمالية والاتحاد الاشتراكي الوطني للتجارة وأصحاب الحرف . ومن جانبه فإن وزير الداخلية أيد ما ذهب إليه شاخت ، منتقدًا الأداء الشرطي السلبي لمواجهة العمليات الموجهة ضد اليهود ، لافتًا الانتباه إلى أن الشرطة تقف ساكنة إذ كان من يقوم بتلك الأعمال أعضاء في منظمات تابعة للحزب النازي . على أن هذا الاجتماع لم يسفر عن إقرار سياسة موحدة بشأن اليهود ، بل إنه أوضح أنه كانت هناك حالة عدم اتفاق بين أعضاء الحكومة التي كانت ممثلة في الوزراء وممثل الحزب النازي أو مندوب الحزب، إذ أشار الوزراء إلى السلبيات العملية المترتبة على تلك التعديات ، بينما ذهب ممثل الحزب إلى التأكيد على أهمية تضييق الخناق على العناصر اليهودية مما يوضح الاختلاف غير المعلن بين أجهزة صناعة القرار في ألمانيا آنذاك[29] .

ومن الملاحظ أن صوت العقل الذي طرح من خلال بعض الوزراء والمسئولين لم يجد هوى لدى ممثل الحزب النازي ، الذي كان من الواضح أن لديه سياسة معينة يريد أن يفرضها على مجلس الوزراء بغض النظر عن الدراسات والتقارير المقدمة ، والتي كانت تعكس القلق من مثل هذه الإجراءات الفجائية ، والتي اتسمت بالفجاجة تجاه العناصر اليهودية والتي سوف يترتب عليها نتائج سلبية في المقابل . وعلى الرغم من أن ذلك الاجتماع قد أوضح أن السياسة الحزبية النازية ضد اليهود كانت تواجه نقدًا بل ومعارضة من بعض القيادات الحكومية ، إلا أن هتلر بصفة شخصية قرر زيادة وتيرة التصعيد وقد وضح هذا في تمرير قانون المواطنة من خلال البرلمان الألماني (الرايخستاج) في سبتمبر من عام 1935 . *وقد نوه البند الأول من القانون إلى أن المواطن الألماني هو الذي يتمتع بحماية الرايخ ، وعليه بالتبعية التزامات لا بد من أن يوفي بها . أما البند الثاني فقد أشار إلى أن المواطن الألماني هو المنحدر من أصول ألمانية ، ويثبت سلوكيًا انتماؤه وولاؤه واستعداده لخدمة الشعب الألماني والرايخ . كذا تعمد واضعو القانون الربط في نفس البند بين المواطنة*

(29) The Reich and Prussian Minister of Economics to : The Minister-President of Bavaria, Berlin, June 5, 1935 . Yad Vashem Archives, JM/2858; Yad Vashem Archives, JM/2245 .

والحقوق السياسية[30] . وفي ذات الجلسة أقر الرايخستاج قانونًا آخر تحت مسمى *"قانون حماية الدماء والشرف الألماني"* . وقد تم التنويه في مقدمة القانون إلى أن المحرك الأساسي وراء إصداره هو الحفاظ على نقاء الدماء الألمانية ، وبالتبعية ضمان استمرارية العرق الألماني . وقد أقر القانون في بنده الأول حظر زواج اليهود بالألمان، حتى وإن تم زواجهم بالخارج . وفي بنده الثاني وسع القانون دائرة ذلك الحظر لتشمل حتى العلاقات التي تقام خارج إطار الحياة الزوجية أو العلاقات غير الشرعية بين اليهود والألمان . أما البند الثالث فقد سلك مسلكًا تطبيقيًا ، إذ حظر على اليهود جلب أية امرأة ألمانية للعمل بالمنزل تكون أقل من 45 عامًا . وعلى صعيد آخر حظر البند الرابع على اليهود رفع العلم الوطني الألماني ، وسمح لهم في المقابل باستخدام الشارات اليهودية ليصبحوا معروفين لدى السفير الألماني بحمل مثل هذه الشارات[31] .

وانطلاقًا من هذا فقد أشار هتلر في خطابه أمام الرايخستاج إلى أن الوقت قد حان للمواجهة العلنية للقوى اليهودية في المجتمع الألماني ، مؤكدًا أن الحكومة قد تلقت شكاوى عديدة ضد الممارسات الاستفزازية لهؤلاء اليهود ، تلك الشكاوى التي أضفى عليها هتلر صفتي الاستمرارية والتشابه ، مما مكنه من أن يضع تلك التصرفات اليهودية تحت تصنيف العمل المنظم . وبمعنى آخر أراد هتلر أن يجمع تلك الشكاوى معًا ليخلص منها إلى أن اليهود الألمان لديهم خطة محكمة للسيطرة على المقاليد السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ألمانيا . ثم انتقل هتلر إلى استراتيجية التعامل مع تلك القضية فنوه إلى أن اتخاذ إجراء قانوني تجاه هؤلاء أضحى أمرًا لا فرار منه لوضع أرضية ثابتة للعلاقات التبادلية بين الألمان واليهود[32] . وفي اجتماع له مع قادة الحزب النازي وجه هتلر شكره لقادة الحزب لتأييدهم للخطوات التشريعية التي بادر بطرحها تجاه التعامل مع القضية اليهودية . من جهة أخرى أكد هتلر مجددًا أن القانون يهدف في الأساس إلى مساعدة اليهود لا القضاء عليهم ، وذلك من خلال توفير قاعدة قانونية واضحة يستطيعون من

(30) Reichsgesetzblatt, I, 1935, p . 1146 .

(31) Reichsgesetzblatt, I, 1935, pp . 1146-1147.

(32) N .H . Baynes, ed ., The Speeches of Adolf Hitler, I, London, 1942 ، pp . 731-732,PP 731 :732 .

خلالها إيجاد هوية سياسية وثقافية مميزة ، كذلك فإن هؤلاء اليهود سيكون بمقدورهم ممارسة كافة أنشطتهم الدينية وغير الدينية بشكل منظم ومقنن يجعل من تلك الممارسات نمطًا يمتاز بهامش واسع من الحرية لا يقارن بتلك الهوامش التي تمنح لهم في المجتمعات الأخرى . الجدير بالذكر أن هتلر أكد على أهمية عدم التعرض لليهود في هذه المرحلة حتى لا يفرغ الإجراءات القانونية التي تم اتخاذها من مضمونها[33] .

على أن شهر نوفمبر من ذات العام شهد تطورًا آخر في اتجاه الاستبعاد القانوني للعناصر اليهودية من المجتمع الألماني ، إذ صدرت أول مذكرة تنفيذية لقوانين المواطنة أو قوانين نورمبرج Nuremberg الصادرة في سبتمبر 1935 . ***وقد نص أحد بنودها بشكل مباشر لا يحتمل التأويل إلى أن اليهودي لا يعد مواطنًا ألمانيًا ، وبالتالي فإنه لا يتمتع بأية حقوق سياسية ، خاصة حق التصويت ، كما أنه لا يحق له اعتلاء أي منصب عام*** ، وعلى ذلك فقد أشار البند إلى أن كافة الموظفين اليهود سوف يحالون إلى التقاعد مع حلول يوم الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر من ذات العام. ووضعًا للأمور في إطارها القانوني الدقيق ، كما أشار بند آخر في تلك المذكرة إلى أن الشخص يعد يهوديًا إذا كان منحدرًا من ثلاثة أجداد يهود . من جهة أخرى فإن الشخص الذي ينحدر من أعراق مختلطة يعد يهوديًا إذ كان جداه يهوديين ، كذلك إذا كان ينتمي إلى الديانة اليهودية وقت صدور القانون ، أو كان متزوجًا من يهودي أو يهودية . ومن جهة أخرى مد القانون مظلة الحظر لتشمل هؤلاء الذين ولدوا لأسرة ينتمي أحد والديها إلى الديانة اليهودية ، وبطبيعة الحال شمل ذلك هؤلاء الذين ولدوا تحت نفس الظروف العائلية ، لكن خارج إطار العلاقات الزوجية الشرعية[34] .

ويشير القانون والمذكرة التفسيرية الأولى التي صدرت بشأنه لاحقًا إلى أن هتلر كان مزمعًا على تطوير أسلوب الأداء في اتجاه التعامل مع القضية اليهودية . فإذا نحينا جانبًا الحديث المعسول عن أن تلك الإجراءات التشريعية من شأنها أن تضع المجتمع الألماني

---

(33) M . Domarus, ed ., A . Hitler Reden und Proklamationen 1932-1945 ("A . Hitler Speeches and Proclamations 1932-1945"), I . Neustadt a .d . Aisch, 1962, pp . 538-539 .

(34) Reichsgesetzblatt, I, 1935, p . 1333, also US FR 1935 , Vol 11 p 406 :408 .

على أعتاب تغيير جذري إيجابي من حيث تحديد الهوية والممارسات ، فإن قوانين نورمبرج تعد أحد المنحنيات الرئيسية في استراتيجية تعامل هتلر مع اليهود ، فالقانون يخلع عنهم وبما لا يدع مجالاً للشك الصفة القانونية التي تمنحهم المواطنة الألمانية بكافة حقوقها وواجباتها . ويعد ذلك في أحد التأويلات تعرية قانونية للعناصر اليهودية داخل المجتمع الألماني ، والتي ستضحي في مهب الرياح القانونية أولاً ، والشعبية ثانيًا ، إذ إن النفي التشريعي للمواطنة لا يعني بأي حال من الأحوال مزيدًا من الحرية لهؤلاء ، بل على العكس سيضع اليهود بشكل مستمر ومكثف تحت دائرة الفحص القانوني من جراء الانتهاكات التي سيتم ارتكابها في هذا المضمار ، خاصة وأن تبعات تلك الإجراءات سيمتد تأثيرها الرسمي المباشر وغير المباشر إلى أصعدة متعددة . من جهة أخرى فإن الانعكاسات التي سيتركها هذا القانون على الصعيد الشعبي تعد من قبيل التحفيز الرسمي على لفظ العناصر اليهودية والتخلص منها ، وليس كما أشار هتلر في اجتماعه مع قادة الحزب النازي إلى نقل العلاقات التبادلية الألمانية اليهودية إلى مستوى أفضل ، فالحكومة الألمانية أضحت تعد هؤلاء اليهود أشخاصًا غرباء من الناحية القانونية عن المجتمع الألماني، وبالتالي فإن حالة التغريب القانوني التي وضعت أساسها قوانين نورمبرج كان من شأنها أن تعكر صفو العلاقات التبادلية بين العنصرين ، بل وتضعهم في مواجهة غير متكافئة ، وقد اعتبر السفير الأمريكي في برلين هذا التشريع القانوني بمثابة الضوء الأخضر لقيادات الحزب النازي ومنظماته للقيام "بخنق اليهود ، والقضاء على فرص وجودهم في المجتمع الألماني" .

وقد أشارت وكالة الأنباء الألمانية – لسان حال الحزب النازي – في صدد تعليقها على قوانين نورمبرج إلى أن تلك الإجراءات التي هدفت إلى إضفاء الصفة القانونية على شكل العلاقات الثنائية الألمانية اليهودية ، لا تستهدف تضييق الخناق على اليهود الألمان طالما ينتمون قولاً وفعلاً إلى المجتمع اليهودي . على أن تقرير وكالة الأنباء لم يستطع أن ينكر أن تلك القوانين أسقطت عن اليهود صفة المواطنة . وفي محاولة من واضعي التقرير لإيجاد تفسير لهذا التناقض الجوهري بين وجهتي النظر اللتين ذهبتا في اتجاهين مختلفين أشار التقرير إلى أن المؤتمر اليهودي الذي عقد في سويسرا وضع حدًّا للحديث عن اليهودية كمجرد ديانة ، فالمتحدثون أمام هذا المؤتمر أكدوا على أن اليهود شعب قائم

بذاته، وبالتالي فإن تلك الأحاديث تطرقت بشكل جدي إلى تأسيس وطن قومي لهذا الشعب اليهودي . وعلى هذا الأساس فإن هذا التوجه القانوني الألماني يعد ، حسبما ذهب التقرير ، توافقًا إيجابيًّا مع المنحى الذي اتخذه المؤتمر اليهودي ويتماشى معه ، إذ وضعهم القانون في إطار الأقلية ، وبالتالي فإن هذا التأطير القانوني من شأنه أن يضع العلاقات بين الأمة الألمانية واليهود في إطارها الصحيح . والجدير بالذكر أن التقرير كان دقيقًا لدرجة لافتة في صياغته للعبارة الأخيرة ، حيث إن الإشارة إلى الأمة الألمانية بشكل منفصل تمامًا عن اليهود ، بما يضعهم موضعًا انعزاليًا انتظارًا لما ستسفر عنه الأوضاع على الصعيدين الداخلي والخارجي . ومن نفس المنطلق فإن التقرير يشير بصورة أو بأخرى إلى أن تلك المنهجية من شأنها توفير مناخ مناسب لليهود ليؤسسوا مدارسهم ومسارحهم وأنديتهم الرياضية ، وبالتالي وَضَع أسسًا لمستقبل اليهود بصورة مستقلة في المجتمع الألماني ، وبالتالي فإن الحديث عن التدخلات اليهودية في الشئون الداخلية الألمانية لن يكون له مجال أو مكان . وعلى هذا فإن التقرير يعد تلك الخطوات التشريعية محاولة من جانب الحكومة الألمانية لإبداء حسن النوايا تجاه اليهود ، "تلك الأقلية التي من شأن الحكومة أن توفر لها الحماية لتمارس حياتها المنفصلة" . وقد تمادى التقرير في هذا التوجه مشيرًا إلى أن : "الحكومة ترحب بنمو المجتمع اليهودي داخل ألمانيا ، وإن الدوائر الرسمية ستفعل ما في وسعها لتطوير العلاقات الإيجابية بين الأمتين"[35] .

لقد هدف التقرير بصورة أو بأخرى إلى تجميل سياسة الحكومة في الداخل أو ربما أراد أن يخفف من موجات الاحتجاج الخارجي خاصة في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية .

ردود الأفعال اليهودية :

على صعيد ردود الأفعال اليهودية تجاه *قوانين نورمبرج* ، أكد بيان الممثلية الوطنية لليهود في ألمانيا أن تلك الإجراءات القانونية كانت بمثابة الضربة القاضية لليهود الألمان . على أنه عاد ليؤكد على أن الهيئة ستفعل ما في وسعها لتدعيم تلك الأسس المستجدة

(35) Juedische Rundschau, No . 75, September 17, 1935 also see U S F R 1936 Vol 11 P 197 from Ambassador To Sec . of State, Berlin Jun 30 1936.

للعلاقات الثنائية الألمانية اليهودية . وقد استهل البيان توجهه المتفهم بالتنويه إلى أن تلك الاستجابة المرنة ترتبط ارتباطًا شرطيًا بإيجابية التعامل الرسمي والشعبي الألماني مع المصالح الاقتصادية اليهودية ، وبشكل أكثر تحديدًا التوقف عن الممارسات الاقتصادية التي تلحق الأذى بالعناصر اليهودية . ثم طالب البيان الحكومة الألمانية بالاعتراف بوجود قيادة ذات حكم ذاتي لليهود ، مرشحة ذاتها كمؤسسة تحوز تأييد قاعدة عريضة من الهيئات اليهودية ، وبالتالي فهي قادرة على تمثيل المجتمع اليهودي بمشاربه المختلفة أمام السلطات الألمانية . ويلاحظ أن هذا التوجه استهدف استغلال العزلة القانونية التي خلعتها قوانين نورمبرج على اليهود بتمكينهم من قيادة وتوجيه تلك العناصر بهامش واسع من حرية التصرف . ثم انتقل البيان إلى التأكيد على أهم الأمور الملحة التي أضحت بمثابة الركائز لضمان الاستغلال الأمثل للمناخ الذي من شأن تلك التوجهات التشريعية المستحدثة أن تنشره عبر أنحاء ألمانيا . وجاء على قمة تلك المهام أو الأولويات الاهتمام بتأسيس نظام تعليمي قوي يضمن تنشئة الأطفال والشباب اليهود بما يضمن ارتباطهم الوثيق بهويتهم اليهودية ، وكذلك لتهيئتهم دراسيًا للتكيف مع الوظائف التي ستتاح لهم، في توجه أطلق عليه البيان ضمان استمرارية "البنية الثقافية المستقلة" لليهود الألمان[36] .

ومن هذا المنطلق فإن اليهود بما أبدوه من رغبة في التعايش مع التطورات الجديدة أعطوا لهتلر مساحة أكبر في ممارساته التعسفية تجاههم ، أو ربما على جانب آخر أرادوا في هذه الفترة عدم الدخول في صدام علني خاصة وأن موقف القوى الخارجية وبخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا لم يكن متشددًا تجاه المسألة ، فقد اقتصر على الاحتجاج من قبل ممثلي هذه الدول المعتمَدين لدى ألمانيا [37] ، وربما كان الدافع إلى هذا الموقف السلبي هو رغبة هذه الدول في الحفاظ على علاقتها مع ألمانيا أو عدم التدخل في شأن داخلي . ومن جهة أخرى أكد التقرير أن تزايد أعداد المهاجرين إلى فلسطين وغيرها من الدول تَطَلَّبَ وضع برنامج تأهيلي لإعدادهم بدقة ، خاصة فيما يتعلق بتدريبهم على المهن التي تتطلبها تلك البلاد ، مثل الزراعة والمهن الحرفية . على أن البيان ، ورغم اهتمامه بالأطفال

(36) Juedische Rundschau, No . 77, September 24, 1935 .
(37) ibid also U S F R Ibid, P P 1997 :1999 .

والشباب اليهود ، إلا أنه لم يغفل الاهتمام بكبار السن ، إذ أكد على رعايتهم جسديًا ونفسيًا ، وبالتالي أراد البيان وضع كافة القطاعات العمرية اليهودية في دائرة اهتمامه ، ويرجح أن السبب وراء ذلك كان في ضمان زيادة تماسك العناصر اليهودية في ظل تلك الظروف التي أضحت تمثل مناخًا جديدًا وجب على اليهود التكيف معه . وعلى صعيد موازٍ لفت البيان النظر إلى أهمية التعضيد الاقتصادي لكافة اليهود الألمان حتى لا يضحوا فريسة للعزلة الاقتصادية التي قد تنجم عن الإجراءات التشريعية التي تم إقرارها مؤخرًا. الجدير بالذكر أن الاستعداد للهجرة إلى فلسطين احتل جانبًا هامًا في هذا البيان الذي أكد على أن التطورات الإيجابية والتنامي المتسارع الخطى لتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين يمثل دفعة معنوية قوية لليهود الألمان الذين عليهم ، لكي يشاركوا في هذا التوجه، تنمية مهارات العمل اليدوي والحديث باللغة العبرية خاصة من الأجانب لدى التلاميذ اليهود ، كذلك أشار البيان إلى أن الممثلية ذاتها انضمت إلى (صندوق مؤسسة فلسطين) ، الذي كان أحد الهيئات اليهودية الرئيسية لتشجيع الهجرة إلى فلسطين . وفي ذات السياق أعلنت الممثلية أنها على استعداد لتنسيق العمل التعاوني بين المؤسسات اليهودية الألمانية للعمل على تأسيس وطن يهودي في فلسطين[38] . أما على الصعيد الديني فقد أعد الحاخام ليو بيك صلاة لتقرأ في ليلة كيبور (عيد الغفران اليهودي) ، والتي أكدت على اتكال اليهود على ذراع إلههم القوية ، وإيمانهم بقدرته على تعضيدهم في أوقات المحن والشدائد ، إذ إن تاريخهم – حسبما ذهبت الصلاة – هو تاريخ الفخر والاعتزاز الروحي بإله إسرائيل . والجدير بالذكر أن الشرطة السرية الألمانية (الجستابو) حظرت تلاوة الصلاة ، بل وألقت القبض على ليو وبعض القيادات الدينية اليهودية الأخرى[39] .

وقد شهدت الفترة التالية زيادة في وطئة ووتيرة الاستبعاد الرسمي والشعبي للعناصر اليهودية في المجتمع الألماني ، مما نجم عنه تنامي أنشطة الوكالة الصهيونية في تهجير يهود ألمانيا إلى فلسطين حتى أن سفير بريطانيا لدى برلين أرسل إلى لندن تقريرًا يفيد

---

(38) U S F R, Ibid, PP 197 .200.

(39) The Attorney-General of the Government of Israel v . Adolf Eichmann, Minutes of Session No . 14, Jerusalem, 1961 .

بوجود خطة طويلة الأمد من قبل تلك الوكالة لتهجير أكبر عدد من اليهود الألمان إلى فلسطين ، وأبدى رغبته في أن تعمل الحكومة البريطانية على تشجيع المزيد من الهجرات في ضوء اتساع المشاعر المناهضة ليهود ألمانيا[40] . وفي هذا الخصوص أشارت مذكرة لمدير مكتب الجوازات في لندن في يناير عام 1938 إلى أن السفارات البريطانية في العديد من عواصم أوربا أخذت تعاني بشكل مستمر ومكثف من التزايد المطرد في أعداد اليهود المتقدمين بطلبات اللجوء إلى بريطانيا من رعايا تلك الدول مثل المجر وتشيكوسلوفاكيا ، إلا أن اللافت للنظر أن المذكرة أوردت أنه قد تم منح 35000 تأشيرة لجوء ليهود من ألمانيا والنمسا ، بعد اتحاد الأخيرة قسرًا مع الأولى[41] . وقد تم تصنيف هؤلاء اللاجئين إلى ثلاثة توجهات : الأول يضم الذين يرغبون في اللجوء إلى بريطانيا حتى يتم السماح لهم **بالرحيل إلى دولة أخرى** ، والثاني يضم الذين قدموا لبريطانيا للحصول على تدريب يمكّنهم من **العمل في دول مختلفة** ، أما التصنيف الأخير فقد ضم المسنين الذين تعدوا الستين عامًا ، وهؤلاء منحوا حق الاستقرار في بريطانيا ، مع عدم السعي للحصول على وظيفة . والجدير بالذكر أن عدد التأشيرات التي كانت تمنح لهؤلاء بلغت 200 تأشيرة يوميًا[42] .

وتشير الوثيقتان إلى أن المجموعة الأولى والثانية كان يتم إعدادهما في المقام الأول للسفر إلى فلسطين للاستيطان . كما أشارتا إلى أن الأوضاع اليهودية المعيشية بكافة أشكالها في العديد من الدول الأوربية ، وخاصة ألمانيا ، قد دخلت منحنى جديدًا آنذاك ، إذ إن إصدار 35 ألف تأشيرة في فترة وجيزة تلت الاتحاد الألماني النمساوي ، يحمل العديد من المعاني من بينها أن المقاومة اليهودية لحالة الاستبعاد الاجتماعي التي أطلق هتلر إشارة البدء فيها عام 1933 ، أضحت في مهب الريح بدرجة لافتة . وإن كان ذلك لا ينفي أن

(40) Minutes from Frank Foley, to the Chancery, HM Embassy, Berlin, 17 January 1936, sent to London on 20 January by Sir E . Phipps, HM Ambassador in Berlin .

(41) Second Regulation for the Law on the Reunification of Austria with the German Reich, March 18, 1938 . Reichsgesetzblatt, I, 1938, p . 262 .

(42) Letter from Rear Admiral Sir Hugh Sinclair, Chief of the Secret Intelligence Service, to Sir Alexander Cadogan, Permanent Under Secretary of States Foreign Affairs, 3 January 1938, enclosing a memorandum by the Director of Passport Control ; Foreign Relations of the United States, 1937, Vol . II, "The Ambassador in Germany to the Secretary of State , Berlin , April 26,1937, pp .319-320 .

المؤسسات اليهودية في ألمانيا حاولت أن تصمد في وجه تلك المستجدات ، إلا أنه من المرجح أن تحول تلك المستجدات من الشكل الاستبعادي إلى الشكل القمعي ، قد دفع هؤلاء دفعًا إلى التخلي عن المقاومة الإيجابية والنزوح عن تلك الدول الطاردة في خطوة كشفت عن استجابة إيجابية للخطط الاستبعادية لهذه العناصر من قبل تلك الدول . ففي مارس عام 1938 أصدرت الحكومة الألمانية قانونًا يلغي الصفة القانونية للمؤسسات الدينية اليهودية[43] ، مما يؤيد الطرح السابق من أن الاستراتيجية النازية في مواجهة اليهود انتقلت إلى مستوى مختلف ، ذلك أن إسقاط الصفة القانونية عن تلك المؤسسات يخلع عنها أية شرعية لممارسة أي دور إيجابي بشأن رعاية مصالح يهود ألمانيا ، وبالتالي كسر روابطهم الاجتماعية . ويرجح أن هذا القانون كان بمثابة خطوة تمهيدية لاتخاذ مزيد من الإجراءات الاستبعادية للعناصر اليهودية .

وفي النمسا ، أوضح أحد قيادات اليهود الذي ذهب إليها في إبريل من ذات العام في تقرير رفعه إلى الوكالة الصهيونية أن أوضاع اليهود هناك يشوبها اضطراب كبير ، حيث تسيطر عناصر الجستابو على كافة مظاهر الحياة اليومية في العديد من المدن النمساوية ، وخاصة فيينا . وأبدى ارتيابه من عدم إعلان السلطات الألمانية عن سياسة واضحة للتعامل مع اليهود ، إلا أنه أشار إلى أنها قد تكون مختلفة عن تلك التي تتبع في ألمانيا ، إذ قد تلجأ الحكومة الألمانية إلى القضاء على المجتمع اليهودي في النمسا بشكل مباشر . وذلك من خلال استبعادهم من أنشطة الحياة الاقتصادية ، وتجريدهم من كافة مصادر دخولهم المالية ، مما يضعهم أمام خيارين : إما الموت جوعًا ، أو مغادرة البلاد إلى دول أخرى . ويشير التقرير إلى أن هذا الموقف لا بد وأن يواجه بدعم من المؤسسات الصهيونية العالمية التي من واجبها أن ترسل وفودًا إلى النمسا لمساندة العناصر اليهودية هناك . والجدير بالذكر أن تلك الاستجابة اشترطت موافقة السلطات الألمانية على عمل هؤلاء تحت مظلة شرعية[44] . تلك المظلة الشرعية التي أضحى مسئولاً عنها أحد عناصر

(43) Reichsgesetzblatt, I, 1938, p . 338; FRUS, 1937, Vol .II, "The Ambassador in Germany to the Secretary of State, Berlin, April 26, 1937, p .323.

(44) A Report Submitted to the Executive of the Zionist Organization by Dr . Leo Lauterbach, London,29th April, 1938 . Zionist Archives, S5/653 .

الجستابو ، وهو إيخمان Eichmann ، الذي قام بتنظيم المجتمع اليهودي في النمسا بشكل جعله تحت المجهر بشكل دائم . وما يلفت الانتباه في هذا المقام أن إيخمان بدأ منذ توليه مهام منصبه في تحفيز المؤسسات اليهودية على تهجير أكبر عدد من اليهود إلى فلسطين ، إذ طالبها بتهجير 20 ألفًا في خلال فترة لا تتجاوز العام[45] .

وفي تصعيد آخر ، أشار تقرير أرسلته القنصلية البريطانية في برلين إلى لندن في الثامن من يونيو من عام 1938 ، إلى أن هذا الشهر شهد موجة جديدة للاضطهاد الألماني لليهود لم تقتصر فقط على العاصمة برلين ، بل امتدت لتشمل العديد من أنحاء ألمانيا . إذ تم شن حملة مداهمة لمنازل اليهود ، أُلقِي القبض خلالها على عدد كبير من العناصر اليهودية ، كما امتدت حملات المداهمة لتشمل المقاهي ودور السينما، حيث أخليت من روادها عدا اليهود ليسهل إلقاء القبض عليهم وإرسالهم إلى معسكرات الاعتقال . وقد شهدت العاصمة برلين ذروة تلك الموجة ، حيث تم وصم واجهات المتاجر ونوافذها بالعلامات الاستفزازية على يد العناصر المدربة من الحزب النازي بل لقد تم تحطيم كثير من تلك المتاجر ونهبها . على أن التقرير لفت الانتباه إلى قضية هامة ، وهي أن الشارع الألماني لم يبدِ تأييدًا واضحًا لتلك الأعمال ، إذ رأى العديد أنها تتناقض مع أركان المدنية الحديثة ، خاصة وأن الهجوم كان يشن على عناصر سلبت كافة وسائل الدفاع عن نفسها ، في ظل رفض السلطات الرسمية تقديم أي شكل من أشكال الدفاع عن العناصر اليهودية ، كما أن تقاعس قوات الشرطة عن مواجهة تلك الأعمال كان مدعاة لطرح العديد من علامات الاستفهام حول ولاء تلك القوات والتوجهات السياسية لقيادتها . من جهة أخرى ذهب التقرير إلى أن هناك أشكالاً أخرى من الأعمال العدائية كانت تتم ضد اليهود لكن بشكل غير علني ، والمقصود بتلك التصرفات التمييز ضد اليهود في المعاملات اليومية . وقد تجمعت هذه الأشكال المتباينة من التصرفات لتفرز مناخًا عدائيًا واضحًا ضد اليهود ، حتى إن إسقاط الجنسية عنهم وسحب هويتهم أضحى يشكل عملاً روتينيًا[46] .

---

(45) The Attorney-General of the Government of Israel v . Adolf Eichmann, Minutes of Session No . 18, Jerusalem, 1961 .

(46) Extract from Berlin Consular Report,8 June 1938, sent to London by Sir G Ogilvie-Forbes, HM Minister in Berlin, on 13 July.

وعلى الرغم من دعوة الولايات المتحدة لعقد مؤتمر لدراسة موقف اللاجئين اليهود، وموافقة فرنسا على استضافته في مدينة إفيان في الفترة من السادس حتى الثالث عشر من يوليو من عام 1938[47]، وصدور العديد من التوصيات الرامية إلى تحسين أوضاع هؤلاء اللاجئين، ومطالبة السلطات الألمانية بعدم تجريد هؤلاء اقتصاديًا، فإن المؤتمر لم يسفر عن آلية فاعلة لمواجهة الموجات الألمانية الطاردة للعناصر اليهودية، بل إنه صدر في شهر أغسطس من ذات العام مذكرة تفسيرية للقانون الخاص بتغيير الأسماء نص على تغيير أسماء اليهود ليضحي كل الذكور باسم إسرائيل، والإناث باسم سارة[48]. وفي شهر أكتوبر جرت أولى محاولات طرد اليهود من العاصمة النمساوية فيينا، إذ اجتمع ممثلو الحزب النازي في إحدى ضواحي فيينا وتم الإعلان عن القيام بعملية منظمة ضد اليهود في العاشر من شهر أكتوبر عام 1938، استهدفت إجبارهم على مغادرة البلاد، فإذا لم يكن لديهم جوازات سفر فإنه سيتم إجبارهم على التوجه عبر الحدود الألمانية التشيكوسلوفاكية إلى العاصمة براغ. والجدير بالذكر أنه تم الاتفاق في هذا اللقاء على أهمية ألا يبدو هذا العمل ذا طابع حزبي، بل لا بد أن يتم تنظيم مظاهرات شعبية لتدعيمه[49].

وفي السابع من نوفمبر من ذات الشهر أطلق شاب يهودي بولندي النار على أحد موظفي السفارة الألمانية في باريس، وبعدما أُلْقِي القبض عليه، أقر بأنه فعل ذلك انتقامًا من الألمان الذين تعاملوا بوحشية مع والديه ومع اليهود بوجه عام. وفي اليوم التالي وافت هذا الموظف المنية وكان ذلك بمثابة الشرارة التي أشعلت نار موجة اضطهاد ألمانية جديدة ضد اليهود، فأصدرت السلطات عدة إجراءات عقابية ضد اليهود مثل تعليق إصدار الصحف اليهودية، وحظر حملهم للأسلحة النارية. وحتى منتصف ليل يوم التاسع من نوفمبر كانت العاصمة برلين هادئة، إلا أن صباح اليوم التالي كان يحمل بداية

(47) Proceedings of the Intergovernmental Committee, Evian, July 6th to 15th, 1938 . . .Record of the Plenary Meetings of the Committee . Resolutions and Reports, London, July 1938 .

(48) Ibid.

(49) Regulation Requiring Jews to Change their Names, August 1938 . Reichsgesetzblatt, I, 1938, p . 1044.

موجة غضب شعبية عامة ضد اليهود صاحبتها أعمال تدميرية وموجات إرهاب متفرقة ضد هؤلاء . وسرعان ما امتدت نيران الغضب لتشمل كافة أنحاء ألمانيا حيث تم إشعال النيران في المعابد اليهودية أو تدميرها بشكل ما ، واقتحام المتاجر ومقارّ الأعمال ونهبها . أما في مدينة ميونخ فقد تعرض اليهود فيها لتهديدات متفاوتة وأهينوا بل وطردوا من منازلهم ، وتسبب ذلك في انتحار العديد منهم . ويشير المندوب البريطاني لدى برلين إلى أنه شهد بعض مظاهر تلك الأعمال التخريبية العدائية والتي استمرت حتى ليل ذات اليوم ، حيث قامت عصابات من الشباب المسلح باستكمال التدمير الذي كان قد بدأ صباحًا . والجدير بالذكر أن الشرطة الألمانية لم تظهر بشكل فاعل في غضون تلك الأحداث ، ولم تمارس فرق الإطفاء عملها إلا إذا رأت أن حريق أحد المعابد أو مقارّ الأعمال اليهودية بات يهدد أحد المباني التي يملكها الألمان[50] .

وقد كشفت الوثائق فيما بعد أن تلك الموجة كانت عملاً انتقاميًّا مدبرًا من قبل السلطات الألمانية التي أصدرت تعليماتها لكافة القطاعات الشرطية بشأن تلك الأعمال في الساعة الواحدة وعشرين دقيقة من فجر يوم العاشر من نوفمبر أوضحت فيها أهمية القيام بمظاهرات ضد اليهود في كافة أنحاء البلاد ردًّا على عملية الاغتيال التي جرت في باريس . ومن بين تلك التعليمات كان عقد اجتماع يضم رؤساء شرطة المقاطعات مع قادة الحزب النازي في تلك المناطق للاتفاق على الإجراءات التي ستتخذ في هذا المضمار ، ومن بينها عدم تعريض أرواح وممتلكات الألمان للخطر ، والسعي إلى تدمير مقار أعمال ومساكن اليهود لكن مع عدم سلبها. من جهة أخرى صدرت تعليمات لقوات الشرطة بمداهمة المعابد ومكاتب المؤسسات اليهودية والاستيلاء على أرشيفاتها بهدف عدم تعريضها للتدمير في غضون تلك المظاهرات مع الاحتفاظ بأوراقهم ربما لاستخدامها ضدهم في حالة الضرورة. أما بالنسبة لعمليات إلقاء القبض فقد صدرت تعليمات واضحة بالقبض على اليهود الأغنياء والشباب تحديدًا ، والزج بهم في معسكرات الاعتقال[51] .

---

(50) Yad Vashem Archives, O-5/1-2 .

(51) Dispatch No . 1224 from Sir G Ogilivie-Forbes, HM Minister in Berlin, 16 November 1938 . Documents on British Foreign policy 1919-39, Third Series, Volume III , No .313 .

وفي غضون يومين من تلك الأعمال الانتقامية صدرت قرارات سيادية بشأن استبعاد اليهود من كافة الأنشطة الاقتصادية في ألمانيا ، من بينها حظر السماح لهم مع حلول الأول من يناير عام 1939 بفتح متاجر للتجزئة أو ممارسة التجارة ، كذلك حظر عليهم عرض أية بضائع أو الإعلان عن بيعها . من جهة أخرى حظر هذا المرسوم أن يرأس يهودي أحد مؤسسات الأعمال ، وكل يهودي يتقلد منصبًا تنفيذيًا عليه ترك منصبه في غضون ستة أسابيع ، وبالتالي حظر عضوية اليهود في أية مؤسسة اقتصادية . وفي الوقت نفسه صدر قرار سيادي مفاده أن الموقف العدائي لليهود في ألمانيا يتطلب اتخاذ موقف صارم وبالتالي يجب إجبار الأقلية اليهودية على دفع غرامة بلغت بليون مارك[52] .

ولقد أثارت هذه الإجراءات التعسفية التي أخذت صورة العلنية في تلك المرحلة مزيدًا من التعاطف مع اليهود الألمان من قبل المجتمع الدولي[53] ، وخاصة في الولايات المتحدة التي كانت ترصد كل ما يقع على اليهود من إجراءات تعسفية تدفع بهم إلى الهجرة الخارجية ، وتفقدهم حقوقهم القانونية ، إذ إن النظرة الأمريكية كانت تقوم على أساس أن المجتمع الأمريكي مجتمع قام على الهجرات ، وأن لكل مواطن الحق في ممارسة حقوقه سواء الدينية أو السياسية أو الاقتصادية بغض النظر عن دينه ولونه وجنسه . هذه الفلسفة الأمريكية لا شك كانت أحد الأسباب التي جعلت ممثلي الحكومة الأمريكية في ألمانيا وغيرها من العواصم الأوربية ، يبدون تعاطفهم مع اليهود الألمان ، وهو ما قد وضح في مراسلاتهم[54] .

هكذا وفي يناير من عام 1939 وبعد تصاعد الأوضاع بشكل خطر على الصعيد الدولي أصدرت وزارة الخارجية الألمانية مذكرة توضيحية بشأن سياسة الدولة ضد اليهود، أشير فيها إلى أن أحداث عام 1938 جلبت إلى السطح بشكل متوازٍ تعميق مفهوم ألمانيا العظمى ، كذلك القضية اليهودية التي يتضح حسبما أشارت المذكرة أنها قاربت على أن تجد حلاً حاسمًا . وأرجعت المذكرة السياسة الألمانية العدائية ضد اليهود إلى النفوذ السلبي لهؤلاء بالإضافة إلى عقليتهم الاستغلالية الفاسدة في المجالات السياسية

(52) Riots Of Kristallnacht* - Heydrich's Instructions, November 1938 . PS-3051 .
(53) Regulation for the Elimination of the Jews from the Economic Life of Germany, November 12, 1938 . Reichsgesetzblatt, I, 1938, p . 1580 .
(54) Reichsgesetzblatt, I, 1938, p . 1579 .

والاقتصادية ، والذي أدى إلى تعجيز "قدرة وإرادة" الشعب الألماني على النهوض مجددًا في فترات سابقة . وذهبت المذكرة إلى أن علاج هذا المرض المزمن كان أحد المتطلبات الأساسية لإرساء دعائم ألمانيا العظمى في مواجهتها للعالم أجمع . إلا أن المذكرة أضافت سببًا آخر لاتباع تلك السياسة الراديكالية الجهرية ضد اليهود ابتداءً من عام 1938 وهو أن الاتحاد بين ألمانيا والنمسا نجم عنه إضافة مزيد من اليهود إلى يهود ألمانيا أنفسهم . وهنا تجدر الإشارة إلى أن تلك المذكرة قد أوردت أن عدد اليهود النمساويين الذين أضحوا عبئًا على السياسة الألمانية بعد الوحدة كان 200 ألف ، وأن عدد اليهود الألمان كان 500 ألف . وتلك الأرقام تتناقض بشكل جلي مع الأرقام التي تطرحها بعض الدوائر اليهودية، والتي تتجاوز الستة ملايين . من جهة أخرى أوردت المذكرة أن الهدف النهائي للسياسة الألمانية ضد اليهود هو تهجيرهم عن الأراضي الألمانية . وتعود المذكرة لتضيف سببًا آخر للتحول الذي طرأ على استراتيجية التعامل مع القضية اليهودية في عام 1938 وهو أنه على الرغم من أن اليهود قد بدأ إزاحتهم عن الدوائر السياسية والاقتصادية ، إلا أن نفوذهم الاقتصادي القوي ظل واضحًا حتى عام 1938 ، وأضحى جليًّا تمسكهم بالبقاء في البلاد واسترجاع الأيام الخوالي . إلا أن الأحداث في العديد من الدول الأوربية، والتي كانت تسير في عكس اتجاه بقاء العناصر اليهودية فيها ، دفعت السلطات الألمانية إلى اتخاذ سياسة أكثر فاعلية لوضع حل جذري لتلك المشكلة المؤرقة[55] . لم يتوقف الأمر عند عام 1938 بل استمر في فترة الحرب العالمية الثانية ، وقد وضح هذا في العديد من المواقف حيث أصبح موقف اليهود أكثر صعوبة على كافة الأصعدة ، حتى إن السلطات الألمانية لجأت في صيف عام 1941 إلى تسخير اليهود للعمل كأيدٍ عاملة لتشييد مرافق البنية التحتية المختلفة[56] . وفي أكتوبر من نفس العام صعَّدت السلطات موقفها ضد

(55) U .S .F .R . 1938, Vol .II, "Political Report of the Charge in Germany ." pp .355-358; FRUS, 1938, Vol . II, "The Ambassador in Germany to the Secretary of State, Berlin, May 16,1938, pp .373-374; FRUS,1938, Vol . II," The ambassador in France to the Secretary of State .", May 31, p .523; FRUS, 1938, Vol .II, "The ambassador in Czechoslovakia to the Secretary of State , August 6 , p .543 .

(56) Akten zur deutschen auswaertigen Politik 1918-1945 ("Documents on German Foreign Policy 1918-1945"), series D (1937-1945), Vol . V, Baden-Baden, 1953, pp . 780-785 Also U S F R opcit, The charge in Germany (Germany "Gilbert " To Sec . of state No 3852,Berlin , Jun 26 1938 P 357.

هؤلاء ، إذ أصدرت قرارًا بمنع هجرتهم خارج البلاد[57] في خطوة يرجح أنها هدفت إلى تركيز كافة الجهود على مواجهة الأخطار الخارجية ، والعمل على التخلص من تلك العناصر في الداخل وعدم تصدير المشكلة إلى الخارج . وربما كان يهدف من هذه الخطوة إلى التعامل مع المسألة اليهودية بوصفها شأنًا داخليًا يمكن السيطرة عليه فلا يجعل منهم مجالاً لمهاجمته خارجيًا ، خاصة وأنهم كانوا يمتلكون القدرة الدعائية التي كانت تجد آذانًا مصغية في بعض الدول الأوربية والولايات المتحدة . يضاف إلى ذلك أنه قد أراد أن يجعلهم أشبه بالمحاصرين ، مما قد يمكنه من أن يجعل منهم دروعًا بشرية قد تستخدم بشكل أو بآخر ، أو ربما أراد الاحتفاظ بهم لمقايضتهم مع الدول المعادية إذا استلزم الأمر. الجدير بالذكر أنه في التاسع والعشرين من إبريل من عام 1945 كتب هتلر مندداً بتحميل العالم له مسئولية اندلاع الحرب في عام 1939، وألقى باللائمة في ذلك على اليهود الذين عاملوا الألمان على أنهم مجرد أسهم في البورصات ، وكان على الألمان أن يتخلصوا من براثن هؤلاء . كما دعا هتلر الألمان إلى بذل كل غالٍ ورخيص في سبيل مواصلة السعي للتخلص من العناصر اليهودية بلا رحمة ليس في ألمانيا فقط بل في كافة أرجاء العالم[58] .

ونخلص من هذا إلى أن الأحداث المختلفة والمتباينة التي مرت بألمانيا منذ عام 1933كانت تشير إلى أن هتلر كانت لديه استراتيجية واضحة للتخلص من يهود ألمانيا ، بل ومحو أي أثر لتأثيراتهم الاقتصادية والسياسية على كافة الأصعدة . وقد اعتمدت تلك الاستراتيجية على التدرج في الأداء ، إذ لم تجاهر السلطات الألمانية في المرحلة الأولى بالعداء الكامل أو السعي إلى التخلص منهم ، بل على الأرجح أنها لجأت إلى احتوائهم والعمل على السيطرة على كافة الصلات الاقتصادية بين اليهود والألمان ثم تدمير تلك الصلات حتى يضحي اليهود معزولين اقتصاديًا ومن ثم سياسيًا عن دوائر صناعة القرار. والملاحظ أن اليهود استجابوا في تلك المرحلة للتحديات بشكل واعٍ ومتدرج ، واستخدموا في ذلك وسائل مختلفة أهمها تعبئة الرأي العام اليهودي وتوحيد صفوفه

(57) From a report dated August 18, 1941, by Robert Prochnik, Vienna Jewish Community official in charge of Emigration, in which capacity he was sent temporarily to Berlin .

(58) Yad Vashem Archives, TR-3/1209 .

بشكل قوي ، كذلك العمل على توفير المصادر المالية للتعامل مع السلبيات الاقتصادية التي انعكست عليهم جراء ذلك .

ومع حلول عام 1935بدأت مرحلة جديدة من المواجهة مع اليهود وضح فيها زيادة وتيرة حدة تعامل السلطات الألمانية معهم ، واتخذت آنذاك أسلوبا قانونيًا في التخلص غير المباشر من النفوذ اليهودي من خلال سلسلة من القوانين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . على أن اليهود صعَّدوا كذلك من استجابتهم القوية لتلك التحديات ، وذلك بلجوئهم إلى اليهود في الخارج سعيًا للحصول على دعم سياسي واقتصادي . أما عام 1938 فقد شهد انفجار الأوضاع بشكل راديكالي ، ويرجح أن انتقال السلطات الألمانية لذلك المستوى يعود إلى شعورهم باستنفاد كافة السبل للتخلص من عبء اليهود، يضاف إلى هذا أن سبب هذه الفجاجة يرتبط بلا شك بنذر الحرب العالمية الثانية التي كانت قد بدأت تلوح في الأفق آنذاك[59] . ومع هذا يلاحظ أن ما أقدم عليه هتلر وجد قبولا في أوساط الشعب الألماني الذي رأى في سياساته خاصة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي تعويضًا عن كل ما أقدم عليه من إجراءات تجاه اليهود . فالمسألة اليهودية لم تكن تعني الشعب الألماني وهو ما أدركه هتلر منذ البداية ولذا فإنه لم يجد غضاضة فيما اتخذه من سياسات . يضاف إلى هذا أن موقف الدول الكبرى خاصة الولايات المتحدة وبريطانيا كان يسير في إطار حذر من أجل الرغبة في الحفاظ على علاقتهم بألمانيا ، معتبرين قضية اليهود إلى حد ما شأنًا داخليًا اللهم إلا إذا مست أحد رعاياهم من حاملي جنسيتهم[60] .

(59) Ibid, PS-3569 .

(60) يررونوفن : تاريخ القرن العشرين ، ترجمة نور الدين حاطوم ، دمشق 1959 ، ص ص 332 - 349 ، 407 - 427 .